

ضئيلة جدًا من الحسد قد وقعت في قلب علي حين سمع الشيخ يُرغب الحاج مسعودًا في صهر خالد هذا الفتى الذي اتخذ له زوجًا فأضاعت عقلها جنية البيت، والذي لم يكسب حياته إلا منذ وقت قصير، والشيطان خبيث بغيض يندسُّ إلى القلوب الطاهرة وإلى النفوس الزكية، فيُلقي فيها شيئًا من فساد، إلا أن يعصم الله هذه النفوس وتلك القلوب من نزغات الشيطان، ولعله قد عصم منها نفس عليّ الزكية وقلبه الطاهر الذي ملئ علمًا ودينًا؛ ولكن الشيطان وقح لا يعرف الحياء، مُلِحٌّ لا يكره أن يثقل على الناس بما يوسوس في صدورهم من الشر الذي يُغري بالإثم ويورط في سوء الظن، يلتبس لذلك حيلًا لا تُحصى، يوسوس بذلك مباشرة في صدور الناس أحيانًا، ويُجري به ألسنة الأعداء والحُساد والجُهال من الأصدقاء أحيانًا أخرى، وهو قد فعل ذلك مع عليّ، لم يجترئ أن يواجه حبه للشيخ وثقته به، وعطفه على خالد وأمله فيه، فدَسَّ من أصحابه من قال له مازحًا بعد تلك الليلة التي عبث الشيخ فيها به: لقد قسا عليك الشيخ أمس، وصرف عنك خيرًا كثيرًا. ومع ذلك فمن يدري؛ لعلَّ الشيخ إنما صرف عنك شرًّا كبيرًا، فإنَّ للأولياء أمثاله أسرارًا لا يفهمها أمثالنا، ومع ذلك فإنني أرجو ألا يكون نصيب هذه الصبية إن زفت إلى خالد كنصيب تلك المرأة البائسة التي لم تكد تقيم معه أعوامًا حتى مسَّها لطف الله. ولم يكد علي يسمع هذا الكلام حتى ثار وفار، وهمَّ أن يبطش بصاحبه لولا بقية من حلم؛ فقد استباح هذا الرجل لنفسه أن يجرؤ على الشيخ، ومن دون الجراءة على الشيخ أهوال، واستباح هذا الرجل لنفسه أن يُعرِّض بخالد، ولولا أنَّ الله عز وجل قال: ﴿وَلَمْ يَنْصَبْ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ لما رجع هذا الرجل إلى أهله موفورًا، ولكن لا أقل من أن تنقطع الصلة بين علي وبين هذا الرجل الذي اتَّخذه الشيطان مطية إلى الفساد، وقد كان ذلك، فأعرض علي عن صاحبه بعد أن زجره زجرًا عنيفًا، وأقسم: لا يكون بينه وبينه سبب منذ اليوم.

ومن المحقَّق أنَّ عليًّا قد عُني بتجارته عناية شديدة، عناية لم تُنَّ عنه شيئًا، ولكن على المرء أن يسعى إلى الخير جهده، وعُني ببنيه وبناته وبنسائه، وأحبَّ داره حبًّا شديدًا، وأي غرابة في ذلك، فالموءن حقًا مكلف أن يصل الرحم، ويحسن القيام على أهله وداره وبنيه، والقيام على الأبناء وعلى ذوي القربى وأولي الأرحام واجب يُعاقب المُقصر فيه ويُثاب الناهض به، وهو بعد هذا صدقة يُضاعف الله جزاءه لمن يؤدُّونه على وجهه، ومن الجائز أن تكون عناية علي بتجارته، وقيامه على أهله وسعيه في إصلاح أمره، كل ذلك قد يضطره إلى قليل من التقصير في ذات الشيخ، وإلى التخلف القليل عن بعض مجالسه،